

روح المعاني

والجمهور على أن الهمزة مقدمة من تأخير والواو أصلها التقديم وهو مذهب سيبويه وغيره والجملة الإستفهامية معطوفة على ما قبلها واختار هذا في البحر وإسناد الإصابة إلى المصيبة مجاز وإلى المخاطبين حقيقة ولم يؤت بالإسنادين من باب واحد زيادة في التقرير وتذكير اسم الإشارة في أنى هذا مراعاة لمعنى المصيبة المشار إليها وهو المشهور أو لما أن إشارتهم ليست إلا لما شاهدوه في المعركة من حيث هو هو من غير أن يخطر ببالهم تسميته باسم ما فضلا عن تسميته باسم المصيبة وإنما هي عند الحكاية وفي الآية على ما قيل جواب ضمنى عن استبعادهم تلك الإصابة يعني أن أحوال الدنيا لا تدوم على حالة واحدة فإذا أصبتم منهم مثل ما أصابوا منكم وزيادة فما وجه الاستبعاد لكن صرح بجواب آخر يبري العليل ويشفي الغليل وتطأطئ منه الرؤوس فقال سبحانه قل يا محمد في جواب سؤالهم الفاسد هو أي هذا الذي أصابكم كائن من عند أنفسكم أي أنها السبب له حيث خالف الرماة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتركهم المركز وحرصوا على الغنيمة فعاقبهم الله تعالى بذلك قاله عكرمة أو حيث أنكم قد اخترتم قبل أن يقتل منكم سبعون في مقابلة الفداء الذي أخذتموه من أسارى بدر وعزى هذا إلى الحسن ويدل عليه ما أخرجه ابن أبي شيبة والترمذي وحسنه والنسائي وآخرون عن علي كرم الله تعالى وجهه قال جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد إن الله تعالى قد كره ما فعل قومك في أخذهم الأسارى وقد أمرك أن تخيرهم بين أمرين إما أن يقدموا فتضرب أعناقهم وإما أن يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عدتهم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فذكر لهم ذلك فقالوا يا رسول الله عشائرننا وإخواننا نأخذ فداءهم نتقوى به على قتال عدونا ويستشهد منا عدتهم فليس ذلك ما نكره فقتل منهم يوم أحد سبعون رجلا عدة أسارى أهل بدر أو حيث اخترتم الخروج من المدينة ولم تبقوا حتى تقاتلوا المشركين فيها قاله الربيع وغيره .

وأخرج ابن جرير عن قتادة أنه قال ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوم أحد حين قدم أبو سفيان والمشركون إننا في جنة حصينة يعني بذلك المدينة فدعوا القوم يدخلوا علينا نقاتلهم فقال له ناس من الأنصار إننا نكره أن نقتل في طرق المدينة وقد كنا نمتنع من ذلك في الجاهلية فبالإسلام أحق أن نمتنع فابرز بنا إلى القوم فانطلق فلبس لأمته فتلاوم القوم فقالوا عرض نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم بأمر وعرضتم بغيره اذهب يا حمزة فقل له أمرنا لأمرك تبع فأتى حمزة فقال له إنه ليس لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يناجز وأنه سيكون فيكم مصيبة قالوا يا نبي الله خاصة أو عامة قال سترونها

واعترض هذا القول بأنه يأباه أن الوعد بالنصر كان بعد اختيار الخروج وأن عمل النبي صلى
الله عليه وآله وسلم بموجبه قد رفع الخطر عنه وخفف جنايتهم فيه على أن اختيار الخروج
والإصرار عليه كان ممن أكرمهم الله تعالى بالشهادة يومئذ وأين هم من التفوه بمثل هذه
الكلمة وأجيب بأن الإباء المذكور في حيز المنع كيف والنصر الموعود كان مشروطاً بما يعلم
الله تعالى عدم حصوله وبأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإن كان قد عمل بموجبه لكن لم
تكن نفسه الكريمة صلى الله عليه وآله وسلم منبسطة لذلك ولا قلبه الشريف مائلاً إليه وكأن
سهام الأقدار نفذت حين خالفوا رأيهم السامي وعدلوا عن الورود من عذب بحر عقله الطامي كما
يرشدك إلى ذلك قوله E بعد أن ليس لأمتهم وإنه سيكون فيكم مصيبة وقوله في جواب الإستفهام
عنها خاصة أو عامة سترونها فإن ذلك كالصریح في عدم الرضا والفصیح في استیجاب ذلك
الإختيار نزول القضاء وبأن الخطاب في قوله تعالى قل هو من عند أنفسكم ليس نصاً في أن
المتسببين هم المتفوهون بتلك